عبد الكريم غلاب

على هامش كتاب:
اتجاهات الشعر العربي المعاصر

جذور البعد بين المشرق والمغرب

نازك الملائكة

عبد الوهاب البياتي

الصديق الدكتور احسان عباس يسهم بنصيب وافر في الكتابة والمحاضرة عن ماضي وحاضر الادب العربي. وهو بعلمه الوافر وفكره المتفتح ونشاطه الدائب لا يكاد يترك ميدانا من ميادين الادب الا الف فيه او حقق قديم كتبه ونشرها . وبقدر معرفته بادب مشرق الوطن العربي يعرف ادب المغرب وخاصة القديم منه . وقد الف عن الادب الاندلسي ونشر بعض الكتب التي الفت عنه ككتاب « نفح الطيب» لابي العباس احمد المقرى المغربي التلمساني . ولشغفه بالادب المغربي زار المغرب زيارات علمية عدة مرات . ولا شك انه فتح نافذة على الادب الحديث في هذه البلاد اثناء زياراته ومن خلال قراءاته الوافرة ، الى جانب الابواب الواسعة التي فتحها على الادب الحديث في المشرق كما تدل كتبه العديدة .

وقد أصدر الصديق احسان في سلسلة « عالم المعرفة » التي يصدرها « المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت » كتابا قيما تحت عنوان « اتجاهات الشعر العربي المعاصر » يعتبر من أجود الدراسات التي كتبها احسان عباس ولو انه اعتمد فيها التبسيط والتحليل السريع ، ورضي بالحد الادنى في دور الناقد التحليلي التشريحي ـ كما يقول في المقدمة ـ ولكنه نعا فيها منحى جديدا في تقييم الشعر الحديث يعتمد على دراسة مواقف الشعر والشعراء من قضايا فلسفية وقومية وانسانية كالموقف من الزمان ومن المدينة ومن التراث ومن الحب ومن المجتمع بعد ان مهد لذلك بدراسة تاريخية موجزة عن تطور الشعر الحديث من القصيدة التقليدية الى القصيدة المتحررة .

منهج الدراسة

واختار احسان منهجا يعتبر اقرب الى روح الشعر

منحى جديد في تقييم الشعر الحديث يعتمد على دراسة مواقف الشعراء من قضايا فلسفية وقومية وإنسانية.

بعيدًا عن تعلق النظريات النقدية التي تحفل بها كتب النقد الحديث.

الكاتب وقع في خطأ الحديث عن العالم العربي بمدلول ما قبل الحرب العالمية الثانية.

لماذا ننسى الجزيرة بيمنها ونجدها وتهامتها.. وكذلك المغرب العربي؟

أين الفاسي. وابن جلون. وابن ثابت. والحلوي. والصباغ. والطريبق. وشعراء الشباب؟

الحديث من حيث اعتماده العمق النفسي والفكري فكان بذلك متصلا بعقيقة الشعر وفعالياته الفكرية والنفسية .

وهو في منهجه هذا لم يعرج على النقد الفني للشعر ، اخلاصا منه للمنهج وللتخطيط الذي وضعه لكتابه ، في البحث عن الاتجاهات لا في البحث عن القيم الفنية. ولعلة اكتفى بالشهرة التي ادركها الشعراء الذين أخذ منهم المثل ، فاعفى نفسه من التقييم الفني او ترك ذلك للنقاد الآخرين الذين يقومون بعملية التقييم والموازنة الفنية . ومن ثم كانت النماذج التي اختارها تتفق في الاتجاه ، على نحو ما اتفقت او ما اراد لها ان تتفق ، وتختلف في القيمة الفنية التي تنزل ببعضها الى القيمة العادية وقد ترتفع بالبعض الآخر . ولكنها جميعا نماذج صالحة عنده مادام يبحث عن الاتجاه او عن الموقف من قضية فلسفية او قومية او انسانية .

وحتى لا يتيه في الشعر المعاصر ، بالمعنى الواسع للمعاصرة التي قد تشمل ثلاثة ارباع القرن الحالي ، اثر ان يقصر بحثه على السنوات الثلاثين الاخيرة . ربما لانها السنوات التي شهدت ميلاد القصيدة الجديدة وتطورها ، ولو انه لم يفصح عن هذا العامل في اختياره هذه الفترة ، الا ان اقتصار الدراسة على الشعر الجديد يؤكد الدافع الى هذا الاختيار .

وهو دافع فني من وجهة نظر الموقف او الاتجاه اكثر منه زمني او تاريخي .

وقد كان احسان في تحليله للشعر المعاصر يتعامل مع النص يحلله ويكشف عن الابعاد النفسية في القصيدة او المقطع من القصيدة التي يقف فيها الشاعر موقفه من قضايا العصر : فلسفية او قومية او عاطفية . وهذه احدى مميزات هذا البحث القيم الذي لم ينصرف فيه احسان الى (تملق) النظريات النقدية التي تحفل بها كتب النقد الحديث ، بمقدار ما انصرف الى فهم وتحليل وتشريح الرؤى الفلسفية للشعراء الذين تعامل معهم ، وللنصوص التي درسها .

مدلول قديم

ورغم ان هذا الاختيار للفترة الزمنية التي اعتمدها في دراسته حرره من التيهان في البعد الزمني ـ اي شعر ما قبل الثورة الشعرية ـ الا ان له اختيارا آخر لم يفصح عنه ، وقد حرره ايضا من البعد المكاني ، اي شعر ما وراء المواطن التي اختارها من الوطن العربي . وقد اختار اقاليم معينة من هذا الوطن . لم يفصح عن اختياره لها ، ولكن الدراسة تؤكد هذا الاختيار ، فهو لم يتجاوز خطا معينا يبدأ ـ مثلا ـ بمصر ، ويعرج سريعا على السودان ، ثم فلسطين ، وسوريا ، والعراق ، و (لبنان ؟) . ولعله استنكف ان يكون عنوان كتابه طويلا ، فلم يضع اسماء هذه الاقطار في العنوان بدلا من كلمة (العربي) وجازف بعنوان واسع فضفاض لمدلول غير شامل ولا واسع ولا فضفاض .

قد يكون الدكتور احسان عباس وقع في هذه المغالطة عن غير وعي . فقد الف كثير من الكتاب سياسيين واديبين ان يتعدثوا عن العالم العربي بمدلول ما قبل الحرب العالمية الثانية ، حيث لم تكن حتى مصر تدخل في مجموع العالم العربي . ولكن كانت الجزيرة مثلا : السعودية واليمن وامارات الخليج ـ ولو انها كانت غارقة في النسيان ـ تعتبر من الوطن العربي ـ

جذور البعد بين المشرق والمغرب

جغرافيا على الأقل تقدير ·

المهم أن الدكتور احسان وقع في هذه المغالطة ولو أنه كتب كتابه بعد أزيد من ثلاثين سنة على قيام الجامعة العربية التي أعطت مدلولا للعالم العربي أوسع قليلا مما ألفه الكتاب السياسيون والادبيون ·· ولو انه أيضا ألف كتابه بعد تعرفه على البلاد العربية في المغرب وعلى آدابها قديمها وحديثها ، وبعد ادراكه من خلال التجربة ان ادب المغرب مثلا لا يمكن أن ينفصل عن ادب المشرق في الرؤية الجديدة وفي الاتجاهات الفكرية وفي المواقف من قضايا العصر ومن قضايا المجتمع ومن قضايا النفس ، لانه ينبع من منبع واحد هو المنبع المجتمعي العربي ـ بالمعنى الواسع للمجتمع ـ بعد المنبع الانساني والنفسي ·

اذا كان قد نسي ـ او تناسى ـ الجزيرة بيمنها ونجدها وتهامتها ، وقد شهدت ميلاد الشعر العربي ،

فعذره واضح حينما ينسى ـ أو يتناسى ـ أن هناك جزءا من العالم العربي يقع فيما وراء الصحراء الغربيـة المصرية ، هذا العالم الذي عايشه في الكتب وراء رأى العين والاذن والقلب ، وجاس خلال مكتباته ودور العلم والشعر فيه ، وعايش أو جالس وحادث أدباءه وعلماءه وربما شعراءه ·

تجاهل المغرب العربي

المهم أن الشعر العربي المعاصر في كتاب الدكتـور احسان لا يشمل الشعر المعاصر في المغرب العربي · وهذا ما دعاني الى البحث عن كلمتي « الجزء الاول » او رقم « ١ » على غلاف الكتاب غير أني لم أجد ·

ما اظن ان الكتاب كان سيضيق باستعراض تحليل لنماذج من الشعر العربي المعاصر في ليبيـا وتونس والجزائر والمغرب ، الا اذا كان الدكتور احسان مقتنعا بأن هذا الجزء من الوطن العربي لم ينتج شعرا في المواقف من الزمان والمدينة والتراث والحب والمجتمع ، وحينئذ كان من المنتظر ان يعرب عن هذا الرأي ولو في بضع كلمات · وما اظن أنه كان مضطرا ان يجتاز الصحراء الغربية بقدمين حافيتين لو انه اراد ان يقوم باطلالة على ليبيا أو على تونس أو الجزائر أو المغرب · فرحلاته الفكرية الادبية العديدة مكنته من التعرف على كثير من النماذج ـ حتى في التاريخ البعيد ـ التي كانت تشق على غيره من الباحثين والدارسين ·

ولو أراد مثلا أن يكون معنا هنا في المغرب لوجد مواقف شعرية رائعة في الحياة والنـاس والمجتمع والفلسفة والفكر والنفس والحب والتراث والمدينـة عند علال الفاسي وعبد المجيد بن جلون وعبد الكـريم بن ثابت والعلوي والصباغ والطريبق والخمار والمجاطي والطبال وابن ميمون ، وعند شعراء الشباب الـذي يتجاوزون التجربة بنجاح ·

ولست في حاجة ان اقدم الامثلة فالدكتور احسـان نفسه في غير حاجة الى ان تقدم له الامثلة وهو الذي تحفل مكتبته بفيض من دواوين الشـعر العـربي المعاصر ·

محنة التفرقة

ولكني فقط أريد ان أشير الى خطـر مثل هـذه الدراسات المبتسرة التي تلقى في روع قـراء الادب ما كان يلقيه في روع قراء السياسة أولئك الـذين يفصلون بين مشرق الوطن العربي ومغربه ·

لقد مر الوطن العربي بمحنة هذه التفرقـة التي ما تزال تعمل عملها فيما نشهده من شقاق وانشقاق ،

نتيجة القطيعة الطويلة التي لم يستطع ان يلئم جراحها ثلث القرن الذى مضى منذ نكبة فلسطين • وهو ثلث القرن الذى تعرضت فيه كذلك معظم البلاد العربية ودخلت لنادى العروبة من اوسع ابوابه •

التخلف ثم الاستعمار فصل بين مشرق البلاد العربية ومغربها بشكل مأساوى • وهو ما لم تستطع عصور البعد المكانى ـ يوم كان الجمل سبيل المواصلات ـ ان يفعله • كان الجمل يحمل الانسان ، ولكنه فى الوقت نفسه كان يحمل الكتاب ومعه الثقافة والفن والحضارة• حتى الموسيقى والغناء وفنون الطبخ والملبس والذوق والبناء انتقلت بين المشرق والمغرب ـ طردا وعكسا ـ على ظهر الجمل والقارب الشراعى الذى تعصف به الرياح • ولكنا فى عصر المواصلات عشنا ردحا من زمان ، وساكن القاهرة او دمشق او بغداد يسأل : ايتكلمون فى المغرب العربية ؟

وزاد فى مأساة هذه القطيعة ان كل مواطن فى اى قطر عربى لم يكن ينظر ابعد من انفه • وحتى الذين كانوا يوجهون الراى العام ـ عن طريق الصحافة مثلا ـ كانوا لا يهتمون بغير باب دورهم •

ولكنا حسبنا اننا انتصرنا على هذه القطيعة يوم انتصرنا على الاستعمار • ثم حينما بدأت الطائرة تحرق المسافة فتفطر مثلا فى الدار البيضاء وتتغدى على شاطىء النيل •

الفكر المتعد

غير ان حسباننا ما يزال ـ فيما يبدو ـ خارقا فى الامل • لان الذين يقرأون يسمعون فى بغداد او دمشق او الدوحة ، يسمعون ان هناك بلدا تسمى تونس او الجزائر او المغرب ، والذين يكتبون ـ حتى عن الشعر العربى المعاصر يتسون ان هذا الشعر ـ الذى وصل بين نماذجه الجمل والمركب الشراعى الذى قد تغرقه هبة ريح ـ يصل بينه الفكر العربى المتعد والهموم المشتركة والقضايا المتماثلة والمجتمع الواحد والمنبع الفلسفى والنفسى والفكرى المتحد واللغة الواحدة والتطور الذى لا يختلف فى شرق الوطن العربى عنه فى غربه •

رسالة الباحثين فى قضايا الفكر والادب على الاخص يجب ان تستهدف هدفين :

اولهما : الكشف عن حقيقة الوضع الفكرى والادبى فى الوطن العربى •

وثانيهما : شمولية هذا الكشف حتى لا يكون البحث او الدراسة مبتسرة •

وما لم يتحقق الهدفان معا فسيكون البحث او الدراسة قد فقد عمودى الموضوعية والمنهجية •

وما عودنا الدكتور احسان عباس الا ابحاثا ودراسات يتأكد فيها عمق الموضوع ودقة المنهج •

جذور الوحدة

هناك هدف ثالث لا يقل اهمية فى نظرى عن الهدفين السابقين وهو : تعميق جذور وحدة الوطن العربى فى الفكر والادب ، خدمة للموضوعية فى الدراسات وللفكر والادب اولا ومساهمة فى القضاء على مخلفات عهود التخلف والاستعمار ثانيا •

ومن اجل ذلك اعتبر ان الصديق الدكتور احسان عباس قد فتح بكتابه القيم هذا حساب دين ، لا اخفيه قادحا ، عليه ان يؤديه لا لمغرب الوطن العربى فحسب ، ولكن للوطن العربى جميعه • واعتقد ان فى وسعه ان يؤديه خير اداء حينما يكتب الجزء الثانى من « اتجاهات الشعر العربى المعاصر » •

المغرب : عبد الكريم غلاب

العدد القادم

ابن باديس وعروبة الجزائر

للكاتب الجزائرى : د. صالح خرفى

ملتقى
الإبداع
العربي
والثقافة الإنسانية

الدوحة

٢١

رجب ١٣٩٨ هـ - يوليه ١٩٧٨ م

مجلة شهرية ثقافية جامعة

متى ينتهي عصر الحرمان الأدبي؟

رجاء النقاش

الإسلام والثورة الثقافية

د. مهدي الشريف

جذور البعد بين الشرق والغرب

عبد الكريم غلاب

احسان عبد القدوس وأزمة القصة

د. محمد مصطفى هدارة